(٤)

السبيل
بمحمد بصيرة ميسرة
وبحقيقته قيامة مقدرة

حديث الجمعة

١١ رمضان ١٣٨١ هـ - ١٦ فبراير ١٩٦٢ م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأستعين باسم الله الرحمن الرحيم. قال روح الإحاطة في كتابه الكريم {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[١]. كما أمر رسوله أن يقول {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢]. كما ورد بنطقه الكريم بالكتاب من ذات معناه {إن ربي على صراط مستقيم}[٣]، فقال له من لم يكن هو غيره {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[٤]. قل هذه سبيلي سقط الفرق بيني وبينك.

هذه العبارات توجهنا لأن نفكر ما هي السبيل إلى الله؟ وما هي المجاهدة في الله؟ فالناس يرددون دائما لفظ الطريق إلى الله، ويقولون - بحق وبغير حق - إنهم يدعون إلى الله، وإنهم يأمرون بمعروف وينهون عن منكر، وما تحددت في أنفسهم معاني لمعروف ولا معالم لمنكر. وما تحددت في نفوسهم معاني المجاهدة في الله ومرماها ومغزاها، وبدؤها وانتهاؤها. وما تحددت أيضا في معارفهم معاني السبيل لله، أو السبيل إلى الله، أو السبيل من الله. وما تحدد في وعيهم معرفةً عن الله الذي يكون له الولاء وإليه المصير وإليه المسير، ولا عن أنفسهم ما تكون في قيامها، وفي ماضيها، وما ترجو لقابلها، وما هي في الله، وما كانت من قبل في الله، وما تكون من بعد في الله. كل هذه قضايا يثيرها وعينا لقوله {والذين جاهدوا فينا}[٥]، وما يَعِد الذين جاهدوا فيه بقوله {لنهدينهم سبلنا}[٦]. الذين جاهدوا في الله يهديهم الله إلى سبيله، وإن صدقوا يهديهم الله سبيله، يهديهم الله إلى من جعلهم الله منه إلى الناس سبيل الحق إلى الناس، إذ جعلهم الله منه بباطنهم إلى الناس سبيلا للناس من الناس بظاهرهم، فكانوا سبيلا لله من الله إلى الناس، وسبيلا للناس من الناس إلى الله. وبذلك كانت السبيل هم الناس رحمة من الله يميتهم عنهم، ويبعثهم به فيبعث بهم الحق منه في قيامهم في أنفسهم، يهديهم الله باصطفائه سبيله،

ويغير ما بهم فيجعلهم في أحسن تقويم مثالية مرتضاة للناس، قدوة وأسوة على ما هم من الناس ليكونوا رحمة الله للناس، وأحواض الحياة للناس، وماء الحياة للناس، ومصابيح النور للناس، ويد نجدته للناس، وسفن خلاصه بين الناس يركبها الناس، رواسي الأرض أن تميد بالناس، جاؤوا ببعثهم بالحق ومثله من الله المدين له بالولاء دينا، المتوجه إليه بالرجاء جهادا، المرتبط به بالحياة استقامة، له المثل الأعلى من الناس للناس في السموات والأرض المرجو في وصلته للنجاة...

النجاة من أي شيء؟

النجاة من أنانية العزلة عنه والفرقة منه، بقيام الشرك به بأنانية النفس، وهو لا يقبل أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك به لمن يشاء. وكيف يضاف إليه موقوت النفس وهو الدائم! ومظلم الحس وهو المشرق! فلابد من وسيط يحمل للناس بينهم معناهم، ويحمل للحق في حضرته معناه. ذلك هو الرسول بوجهه من الله إلى الناس، وبوجهه من الناس إلى الله. خلق مع الخلق، وحق مع الحق، باطنه مع الله حق، وظاهره مع الناس خلق. أمين الحق بباطنه، وأمين الخلق بظاهره، واجتماع الخلق بالحق بحضرته.

هذه صورة للسبيل تقوم من الحقيقة إلى الخليقة ببعث الخلائق بالحق، ومفارقتهم لصفات النفس من الخلق إلى وصفها من الحق نفسا للحق وبيتا له، يعنونها بين الناس كلمات الله تترى من لدنه إلى عوالم خلقه في السموات أو في الأرض، يتابع الناس فيها أحواض الحياة بينهم على ما هدى الله وعلى ما هدى رسول الله. بها لزم الإمام منها وجها لها. قيل للهادي فإن لم يكن؟ قال لهم الزم الجماعة، قيل له وإن لم تكن؟ قال لهم (عضوا ولو على جذع شجرة)[٧]، لا تحيا منفردا، ولا تجاهد شاردا، فالذئب يأكل من الغنم القاصية. لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه اعتقاده، وخلصه من نفسه. يد الله مع الجماعة ما تواد الناس وما تناجى الناس في الله على أمره. فما اجتمعوا على ذكر الله إلا كان رب الناس في رعايتهم، وفي تأليف قلوبهم، وفي كشف حجب الغفلة عنهم، وفي نصرتهم على أنفسهم {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[٨]. وما نصروا على أنفسهم إلا كان ملك الناس بينهم وإله الناس في قلوبهم.

إذا تجمع الناس على جذع شجرة من بينهم.. إذا تجمع الناس متوسمين الخير في رجل منهم، قدروا له بشجرة الجنس شهدوها في إمام بشريتهم لها صلة ما بصاحبهم كيف، وقد يكون صاحبهم صالحا لكلمة لله تم لها في مجاهدتها قسط من المسير فنالت نصيبا من الحق، وعرفت شيئا من العلم، وقد تكون في طريقها لذلك، ولكنه في ظاهره بحاضره يقوم في مأمور التشريع وينتهي عن منهي الأمر، ويجاهد نفسه على ظاهر من أمره، ويتواد مع إخوانه من المسلمين ومن المؤمنين، يعطي ما عرف،

ويأخذ مما عرفوا، يتأملهم ويتأملوه، يتوحدهم ويتوحدوه، يتواجدهم ويتواجدوه، يندمج معهم ويندمجون معه على ذكر الله والنجوى فيه.. إن فعلوا ذلك أبرز الله فيهم به ومنهم - ما صدقوا - وجها له وعبدا له يكشف الغطاء عنه، وينعكس بصره في بصيرته فيرى ما احتفظ به الرسول لنفسه، يرى من ليس كمثله شيء، يرى ما ينشد، يرى ما يطلب، يرى الله في حياته ومعاني الحياة، ويرى أن نوال الحق من الله في هذه الحياة مما تحقق له وما كان إلا باجتياز باب مماته كما فعل به، إذ بعث بجمعه وغاب عن نفسه وفرقه، اقتحم العقبة، مات عن نفسه، ماتت نفسه، فأمسكت يد الله نفسه أن تزول، وأحيتها بمن تعول، يدا دائمة لله، ووجها له وعلما عليه، فنى عن عنوان كل من عليها فان، وبقي بعنوان من ليس منها فهو بالمحبة باق، وجها لله، ومصباحا لنفسه فيمن يعول، في ظلمات الطريق يشهد به من يتابعه، ويسعد به من يجتمعه، وينجو به من يتوحده.

هذه طريق من الخلق إلى الخالق بالحق في الخلق.. هذه سبيل من الحياة الدانية إلى محاكاة الحياة العلوية المتدانية.. هذه سبيل إلى الله يعنونها إنسان وجمع...

فالقول بأن الطريق أو السبيل يعنونها آت من الخالق إلى الخلق بروح أمين مرشد وجمعه وملئه وأمته ودائرته وعالمه، فهذه رسالة الروح من الآباء يلبيها الأبناء من الخلق إلى الخالق بإمام وعبد وبرسول وجمعه وصحبه ومتابعيه وأمته ومحبيه، فهذه رسالة النبوة وأئمتها. فإذا تساءلنا ما هي الوحدة في الرسالة؟ وجدناها الوحدة في الإنسان، وجدناها الوحدة في الحياة، كلنا ذوو نفوس، ولكل منا أنانيته، فماذا يعني الله بقيامه على كل نفس بما كسبت؟ إن الله ينظر إلى قوم كفاتا وينظر إلى أقوام من قلوب آخرين. نعم إن الله قائم على كل نفس بقيام معاني كلماته لهم. فما هي وحدة الإنسان في كلماته بالكلمة منه؟ من يكون الباعث للكلمات والمقيم للآيات والمستقبل للخلق والأوادم؟ إن الكلمة الواحدة في الله هي إنسانية كاملة في حقيقة الأمر. إن أرضكم هذه ومن عليها إنما تقوم بكلمة واحدة تأتي من الله رحمة للناس، وتفتح باب الرجاء لكل نفس على الأرض، كلمة بعد كلمة تتخذ من ظاهر الأوادم منكم جلبابا لها هو لها دثار، من عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، هم أناها، وهي في معناهم معناها، إذا خاطبهم الجاهلون سالموهم ما خاصموهم، ولا مقتوهم، ولا عن السبيل ردوهم، ولا من اليتم في الله حرموهم، ولا عن أحواض الحياة بهم منعوهم، ولا عن أبواب الرحمة فيهم نهروهم. إذا ما تجمع الناس بأنفسهم حول وجه الله بها وكلمته لهم بينهم توسموها عرفوا أن كلمة الله إليهم ما أسفرت لمن له أسفرت من بينهم إلا وهي عنده قيام جماعهم وساحة اجتماعهم، إلا وهي مائدة غذائهم وحوض ورودهم، إلا وهي سبيل سيرهم، وسفينة خلاصهم، وعلم عسكرهم، يوم يدعو الله كل أناس بإمامهم...

تترك المتخلفين، وتسرى بالمتابعين. تترك المتخلفين مُنظَرِين مرجئين، غير يائسين ولا مبتورين، انتظارا لكلمة لله منهم تنشأ أو إليهم تعود من واسع رحمة الله بهم. فالكلمات على جانبي الحياة هي وصلات الحياة، ما كانت الحياة على الأرض، أو ما كانت الحياة في غيبها عنها في السموات.

لو أن الناس كانوا في قيامهم على إيمان مرضي بالله أو على إسلام حقي لله ما كانوا في حاجة لأن يجاهدوا في الله جهادا أكبر أو جهادا أصغر. إن الناس فقراء إلى الله، والله وحده هو الغني الحميد. والله وحده هو الذي يبدأ ويعيد. والله يقوم به القديم كما يقوم به الجديد. إن الناس يقومون في الله وبهم لهم يظهر الله. فما تكون المجاهدة؟ ولِمَ تكون المجاهدة؟ أليسوا قائمين بالله؟ أليس الله قائم بهم وعلى كل نفس شهيد؟ أليس الله من ورائهم محيط؟ أليس الله أقرب إليهم من حبل الوريد؟ ففيمَ تكون المجاهدة؟ وهم بهذا الوصف ولكنهم في غفلة عن هذا، فدفع بعضهم ببعض ليبلوهم في صدق إيمانهم، وليكشف لهم الغطاء بالاستشهاد في الجهاد الأصغر. إن الرسول يوم قال لقومه في عصره: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فتساءل الناس وسألوه - أهناك جهاد أكبر من أن يقدم الناس ذواتهم على مذبح الحق في ميدان القتال، تاركين خلفهم أزواجهم وأولادهم وأهلهم، مجاهدين في سبيل الله؟ قال نعم.. هذا جهاد صغير أن تجمع نفسك وأن تندمج مع جمعك فتتوجه في غضبة في الله إلى ميدان القتال، ترجع إلى الله بشهادة مستشهد فيه أو ترجع إلى أهلك بغنيمة. إنها فترة قصيرة ووثبة جامحة. إنها لمحة في حياتك الأرضية بها تسعد وبالتخلف عنها تشقى، ولكنها فرصة تتاح يوم يؤمر الناس بالقتال في الله مع إمام صادق لهم، فهي فرصة عارضة وليست فرصة دائمة، وهي في الوقت نفسه لها جزاؤها على قدر عنائها. أما الجهاد الأكبر فهو في أنك تثير معركة مسعرة تشب بين ظاهرك من المادة بهذا القيام وبين باطنك من الروح من الحق في هذا القيام من ذاك القيام، تحارب أنانيتك من الخلق لتميتها في مجالها الجديد وفي معركتها الجديدة، وتنصر عليها روح الله وروح الحياة بمعناه، في معركة مشبوبة دائمة لا تفتر في نهارك ولا في ليلك. إنك على ما تموت في ميدان القتال كما تعرف بيد غيرك يعينك على الاستشهاد، يجب أن تموت في ميدان القتال بين أبعاضك على ما عرفت بيد نفسك، فتدرك ما إليه تشرف - كما يدركه شهيد الميدان - في مجال الرحمن، روحا منطلقا في الله في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ينالها المستشهدون، ويتصدرهم بحق من جاهدوا في الله حق جهاده أنفسهم في ميدان الجهاد الأكبر، فيجزون الغرفة بما صبروا قبلة للمستشهدين وقبلة للمؤمنين.

الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. إن الذين استشهدوا في ميدان الجهاد الأصغر، لا بل والذين استشهدوا في ميدان الجهاد الأكبر، إنما ينحصر العطاء والجزاء في أن يجمعهم قائد من الله على كلمة لله

في السموات أو في الأرض. إن الذين جاهدوا الجهاد الأكبر في الأرض يجمعهم الله ليكونوا مسحاء حقيقة له على كلمته في الأرض في زمانهم، وعلى عبد له بها في الأرض ما صدقوا طلب الله، وما صدقوا طلب الاجتماع على كلماته هدفا لهم، وغاية لأنفسهم وعقولهم، فهي منهم وهم منها. والذين جاهدوا مع كلمة لله في الأرض كتب عليهم القتال معها ما أدركوها وما عرفوها، إنما وعدهم الله أن يكونوا معها في مسراها فيعرفونها بحقها ومعناها في مآلهم في حياتهم من الروح بها. إن الذين عرفوا كلمة من كلمات الله على الأرض أو وجها من وجوه كلمة لله عليها، فبمجاهدتهم واجتماعهم يتابعونها في معراجها إلى السماء، كما يتابعونها في امتدادها إلى الأرض ركبوا سفينة النجاة والسلامة. إن الجنة في جوارها، وإن حضرة الله في التوحد بها، وإن الحياة في تواجدها، وإن النور في فيوضاتها، وإن السعادة في ارتضائها، وإن وحدانية الله في وحدانيتها، والقيامة في القيام بعينها وجها له.

إن الله هو من نتوجه إليه بالولاء، ومن نتوجه إليه بالعقيدة، ومن نتوجه إليه بالاستعانة، في أمرنا من أمره نتوجه إليه بتنزيهه عنا وبتنزيهه عن وجودنا بغيره. شرفنا في الولاء له، وإيماننا في العرفان به، لا حدود له، لا غياب له، لا اجتماع عليه، فالاجتماع عليه قائم بروح الحياة فينا، فكيف نزعم أننا لسنا مجتمعين عليه وهو روح الحياة لنا؟ إن الكفر في طلب الاجتماع عليه وإنكار الاجتماع عليه بقائم الحياة فينا، ولكنا نطلب بمن هو فينا أن يجتمع علينا بكشف الغطاء عنا، ومضاعفة الحياة لنا باجتماعنا على من هو منه معنانا لنا كلمة الله وأحسن تقويم للإنسان علينا بيننا، رسولا من أنفسنا هو منه لنا، ومنه آدما وأبا لنا هو منه أوجدنا. إننا في كلمة لله، في آدم لله، في روح قدس لله، في ابن لإنسان الله، في بيت لله علينا يقوم، وعلينا قائم، ومنا يتجدد، وفينا يبعث. إن كلمة الله في تمامها إنما هي باطن آدمنا، وآدمنا باطن أمومتنا، وأمومتنا باطن بنوتنا، وجامع أخوتنا، فالأصل كلمة الله، منها خلق، وبها سوى، وكلمات الله في الوجود تترى على جانبي الحياة، وهي كما قلنا الطريق من الخلق إلى الخالق بأوادمها، والطريق من الخالق إلى الخلق بأنوارها وروحها.

إذا عرفنا هذا عرفنا أن كتاب الله مع كل نبي، ما كان إلا معناه، وما كان بمعناه إلا كلمة لله، إلا كتابا لله جمع بين دفتيه صحائفه من قومه، في قديمه وفي قائمه وفي مستقبله. وليس محمد بدعا من ذلك ولا منفردا به، ولا ممنوعا منه، فمحمد عليه السلام والصلوات كان كلمة قبل أن يجيء بآدمها، ويصير كلمة بعد أن جاء بآدمها، وما كان في قيامه يوم قام إلا كلمة بآدمه جمعت من اجتمع عليها رحمة من الله. فهو من نوح إلى موسى آدم الثاني مع القديم المعروف، وهو آدم الأول مع الجديد الموصوف.

وما كان قرآنه إلا كتاب يمينه، عَرف به نفسه، وعرَّف به عن نفسه بحقه، وعرف به ربه، وعرَّف به عن ربه، وما كان ربه إلا كلمة لله تامة، وما كان رفيقه الأعلى المنشود منه إلا كلمة لله، أوجده

الله في خلقية على مثالها قديما له في قديمه، ومحدثا له في محدثه، وإماما له في قديمه، وإماما لها في قابلها بمعناها لمعناه في مستديمه، بها عرف ربه، وعرف نفسه، وعرف ما كان وما يكون من أمره، وعرف أن المعراج بالتعالي عن الخلق وعالمه لا يتناهى في الله، وأن الخلق في تداني لا يتناهى إلى عالمه من الله. عرف دوام الخلق في دوام صفات وفعل الخالق الكل في الله، والكل من الله، والكل إلى الله.

إن محمدا عليه السلام والصلوات كشف لنا شرف الكلمة في حقيتها وخلقيتها. كشف لنا شرف الكلمة في نورانيتها ويومها وظلاميتها وليلها. كشف لنا شرف الكلمة في دثارها بقوالبنا بمدثرها بدثار وصفه من خلقه بآدمها. كشف لنا أن ناشئة الليل أشد وطئا وأقوم قيلا. كشف لنا فينا نورانية الكلمة في نور باطننا وحقيتها في حقي قلوبنا. كشف لنا أن للكلمة في النهار سبحا طويلا. كشف لنا أن ليلة القدر خير من ألف شهر. كشف لنا سر تحجب الصادق بالصادقين وتكنزه بواحدية الله في الموحدين. كشف لنا عن عظمة العبد لله يوم يعرف فيقول إني عبد الله. كشف لنا معنى الحياة، وروح الحياة، وسر الحياة. كشف لنا معاني النجاة وهيأ لنا أسباب النجاة بسفين من الله يوم قال (مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)[٩]. أقام فينا كتاب الله حيا في عترة لا تغيب يوم قال لنا (تركت فيكم كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا)[١٠]. كشف لنا الطمأنينة، وهيأ لنا أسباب السكينة يوم قال (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[١١]، وأمننا على بلاغه وحكمته يوم قال (لا زال هذا العلم يحمله عدول من هذه الأمة طبقة بعد طبقة، إلى أن تقوم الساعة)[١٢] أو إلى يوم القيامة. وما الساعة أو القيامة عنده إلا أن تقوم دعوة جديدة، ورسالة جديدة للسماء وللروح، يتجدد بها دين الفطرة. وآمننا على ما جاءنا به من الخير رحمة مهداة يوم قال: الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة، أي يوم يقوم تجديد الفطرة بداع بينكم بالمقام المحمود لي، كما قمت بالكلمة في تمامها من تمام مقام عيسى، لم يستوفه بعد، ويستوفيه يوم يكلمكم كهلا من أمتي منكم، (كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [فأمكم منكم]؟)[١٣] وهو ما تنتظرون وعن قائمه منه تتغافلون وتتغامزون، ولم أظهر بينكم بما لي من الله فما عرفني غير ربي وأنا روح القدس، لأن الأرض لا تستطيع وطأتي كما عرفكم أخي عيسى من قبل، فلست على هيأتكم، لست كأحدكم، ما عرفني غير ربي، وما عرفتني بعد. وإني على عظمة عطائي وقيامي في الله فإني عبد فيه مسكين معه، متضائل في عظمتي مع عظمته وعظمة خلقه، أدبني ربي فأحسن تأديبي، وفتح بي أبواب رحمته لخلقه في عالمي الحياة، ما أرسلني فيهما إلا رحمة للعالمين، فما أعطيته، وإن أكبرتموه، فهو لمن تابعني، فهو لأمتي، وأكبر منه وأضعافه هو في انتظاري لي لأني أنتظر لي ولأمتي من الله مزيدا عما أخذت عطاءً غير مجذوذ. إني أسأل الله لي

ولأمتي سيرا فيه لا يتوقف، ومعرفة عنه لا تتناهى فقد عرفته لا يتناهى، وعرفته في معاني عباد، من رفاق أعلى لا يتناهون في الافتقار إليه والاستقبال منه والسير إلى مزيد فيه وغناء به.

هذه عقيدتي فيه، له ولائي وأطلب أن يكون منكم له ولرسوله ولاؤكم. أقوم عليكم بربي شهيدا على الشهداء عليكم حجبا لي وأنا له حجابه، ويقوم عليّ ربي بربه، لا أعرف إلا هذا الذي هو عليّ قائم ونفسي بيده. أعرف ربي ومرسلي، أعرفه رسولا من ربه ومرسله. وها أنا بينكم رسول ربي، فكونوا إلى الناس رسلي لمن لم يشهدني من خلقه، فما أرسلت إلا كافة للناس، فليُبلغ الحاضر منكم الغائب بما بلغه مما أحمل إليكم من ربي، فتحملون بلاغ الله إلى الناس عني، فتفقهون بما تحملون، وبما تعلمون، وبما تحبون، وبما تتابعون، فتكونوا رسلي. وقد تكونون رسلا إلى من هو أفقه منكم وأكثر استعدادا لتقبل قولي، فلا تيأسوا من ظلام أنفسكم، واجعلوا رجاءكم في متابعتي ومتابعة من تحملون إليه قولي إن صلح عنكم.

إن ربي كما أعرفه، وإن إلهي كما أعرفه، وإن الله كما أشرفه في الانتساب له عبدا، لا يحده زمن باتجاه، فلا هو القديم ولا هو الآتي ولا هو الحاضر، ولكن الأزمان من خلقه تعرفه وتعرف عنه. لا تيأسوا من الله ولا تيأسوا من اتصالي بكم إن غاب عنكم شبحي المبلغ. لا تيأسوا من وصلتكم معي فإني بينكم في دوام بتكاثري بعثا فيكم، وبروحي مرتبطة بكم، فأنا حي في قبري وحي في قلوبكم. أنا الناس النيام في نيامهم، وأنا الناس القيام في قيامهم، أفرغوا من قلوبكم ما بها من أنفسكم تجدوني. طهروا ما بأنفسكم من جفوة لله تعرفوني. إن عرفتموني لا يؤخذ بكم يوم العرض دوني. وإن أحدثتم من بعدي فإني بريء ممن أحدث بعدي.

هذا جاءنا به رسول الله فصدقناه القول بقليل منا، وصدقناه الفعل بالأقل، وتخلف عنه الجمع، ونبذ الناس القوم من الصادقين والصديقين، فزعم الجمع لأنفسهم الانتساب للسنة، يتكلمون بلسان الجهل والظلام والمادة باسم تعاليم الروح. سبحان الله أهناك أبلغ مسخا للحقائق وتحريفا للكلم عن مواضعه من مسخ هؤلاء الناس لما جاءهم به الروح وقدمه نبيهم بذاته في بلاغه وبروحه في إمداد وانتشار!! يتكلم معهم القوم عن الروح، وأسرار الروح، وقيام الروح، وقرب الروح، ومعنى الروح، وكشف غلالة المادة عن الروح قائمة فيهم وقائمة عليهم، هي قيام الله بهم وقيامه عليهم. ساعة الله ساعة لقائه فيهم، وقيامة الله يوم قيامه بهم، وحشر الله في جمعهم على ذلك لهم هو معهم بهم، وآخرة الله صاحب الأولى والآخرة قائمة في قيامهم يوم يزحزحون عن مادياتهم إلى روحانيتهم، فيرفضون كل ذلك وهم من الروح وبالروح وإلى الروح، والروح بهم قائم، وفيهم مداني، منكرين على أنفسهم بإنكاره لهم، ثم يتكلمون مجسدين كل شيء، ماديين في كل شيء باسم تعاليم الروح، والتعاليم الروحية، والمعاني

الروحية، والقيم الروحية، الله عندهم بعيد عن حياتهم وعن وجودهم، والروح عندهم في معاني المادة، والملائكة عندهم في صور المادة، فهم عند أنفسهم في قيامهم مادة في حاضرهم لا روح لها، وهم في مستقبلهم مادة لا روح لها، وهم في بعثهم مادة، وقيامتهم مادة، وساعتهم عندهم مادية، ثم هم مع ذلك كله روحيون. ما أسمجهم! ما أرذلهم، ما أحطهم! ما أسفلهم! ما أتعسهم! انتظروا إنا معكم من المنتظرين. إن موعدهم الصبح وقد أصبح الصبح قريبا، فما هو ببعيد. سيعرف الناس في ظلامهم عما قريب أمرهم، سيهزم الجمع في ضلالهم، سيهزم الناس في جمعهم، سيهزمون في ظلامهم، سيهزمون في أنانيتهم، سيهزم الجمع ويولون الدبر.

ستبرز الساعة لهم وهي أدهى وأمر. سينكشف الأمر عما قريب فانتظروا إنا معكم منتظرون. إنها مقاييس من أوقات ببوادرها تعد، نحن فيها بمعالمها بين الأمس واليوم والغد، يكفينا منها أننا شهود على ظلم الناس لأنفسهم في ظلامهم، وأننا نعمل بمن أرسل رحمة للعالمين، وسيفعل الله ورسوله بنا الكثير كما فعل، وسيهدي الله بنا الكثير كما هدى، وكم فعل بأسلافنا منا ونحن منهم...

وسيقدم الله بنا ما يشاء من رحمة الحق، فنحن على الحق، ونحن من الحق بقلوبنا، كما أنا من الخلق بقوالبنا نحنُّ إلى الحق، ونحنو على الخلق، نحنُّ إلى محمد وإلى أمة محمد، ونحنو على محمد وعلى أمة محمد. هذه البشرية إنها محمد، كلها محمد. البشرية في ظاهرها وفي باطنها إنما هي محمد، إنها انطلاقاته، إنها آياته، إنها تواجداته، إنها نفحاته، إنها أحواضه، إنها قياماته، إنها ساعاته، إنها بعثه، إنها حياته ومماته، إنه ما بين قبر ومنبر يقوم ويقبر، لا يتوارى له منبر، ولا يجهل له قبر، لا يحتجب ما بين قبر ومنبر، ولا يجحد يوم يعلو المنبر، ولا ينسى يوم يقبر. إنه الناس.. إنه الناس نائمين في الله.. وإنه الناس قائمين بالله.. وإنه الناس قائمين في الله.. إنه عبد الله وكفى.. إنه عبد الله المصطفى.. إنه آدم اختياره، وإنه كلمات جواره.. وإنه آيات أسراره.. وإنه بحار معارفه.. وإنه أنوار مشارقه.. وإنه خضم خلقه لا يتناهى بدؤه ولا بداية له، ولا يتناهى انتهاؤه ولا نهاية له.. لا توقف له يقوم ويتقلب في الساجدين والكل ساجد. اعرفوا رسول الله في أنفسكم، واكشفوا الغطاء عنه تصيروه، وتبقوه لأنفسكم وللناس. إنه روح الحياة بين جوانحكم.. إنه كتابكم تقرأونه، وإنجيلكم تحملونه وتوراتكم تتطورونه.. إنه كتاب الله تأخذونه وتشهدونه وتُشهدونه برسالاتكم من الله أعلاما عليه ووجوها له، بروح محمد، بنور محمد، بحياة محمد، بماء محمد، بوجه محمد، بيد محمد، بركب محمد، أمة الصالحين، أمة المتقين، أمة العارفين، أمة الداعين، أمة الشهداء، أمة الشاهدين، أمة الأنبياء والمرسلين، أمة الأئمة والصديقين.

لا إله إلا إلهه، ولا رسول إلا أمينه، ولا حق إلا حقه، ولا عبد إلا معناه.

اللهم إنا إليك في أنفسنا رجعنا، لا شريك لك منا، اللهم فتب علينا وثبت إيماننا، وأوفر منك عطاءنا، وأدخلنا في لا إله إلا الله، مدخلا غير مجذوذ، وارضنا عنك من فضل رضائك عنا، عرفناه منك في غنائك وإن عصيناك، يا غنياً عن عملنا، يا من لا تضره معاصينا.

اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، اللهم كن لنا فيما نعلم وفيما لا نعلم من أمرنا، اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وارفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، اللهم ارفع الغمة عن البشرية، وعن هذه الأرض، وعن هذه الأمة، ويسر أمرها حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، شاردين ومتجهين، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، واجعل لنا من رسولك شفيعا عندك، ووجاءً لنا معنا من أنفسنا، به ارحمنا، وبه أقمنا، وبه تولَنا، وبه سلمنا فإنا به وله لك أسلمنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة العنكبوت - ٦٩

٢ سورة يوسف - ١٠٨

٣ سورة هود - ٥٦

٤ سورة الشورى - ٥٢

٥ سورة العنكبوت - ٦٩

٦ سورة العنكبوت - ٦٩

٧ من حديث شريف ذات صلة: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتنا، فالزمَ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة، وكذلك مسلم وابن ماجه.

٨ سورة العنكبوت - ٦٩

٩ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك

١٠ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.

١١ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

١٢ حديث شريف: "يحمل هذا العلم من كل خلَف عدولُه ينفون عنهُ تحريف الجاهِلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين." المحدث الإمام أحمد، أخرجه العقيلي وأبو نعيم والبيهقي باختلاف يسير.

١٣ من حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم."